

أضواء البيان

@ 317 . قد قدّمنا إيضاحه بالآيات القرآنية بكثرة في سورة (مريم) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ * يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } . { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } ، إلى قوله تعالى : { وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ } . اعلم أوّلاً : أن العلماء اختلفوا في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم في المنام بذبحه ، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي ، ثم لمّا باشر عمل ذبحه امتثالاً للأمر ، فداه الله بذبح عظيم ، هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ وقد وعدنا في سورة (الحجر) ، بأننا نوضح ذلك بالقرآن في سورة (الصافات) ، وهذا وقت إنجاز الوعد . .

اعلم ، وفّقني الله وإياك ، أن القرآن العظيم قد دلّ في موضعين ، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق أحدهما في (الصافات) ، والثاني في (هود) . .

أمّا دلالة آيات (الصافات) على ذلك ، فهي واضحة جدّاً من سياق الآيات ، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيّه إبراهيم : { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى الْوَحْشَ أُرِيكَ أَذًى بَحْثُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ قَدْ عَلِمْتُ الْوَحْشَ لِي * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مِّنْ نَّذِيرِينَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } ، قال بعد ذلك عاطفياً على البشارة الأولى : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } ، فدلّ ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشّر به في الثانية ؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه : فبشرناه بإسحاق ، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ } ، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزّه عنه كلام الله ، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أوّلاً الذي فدي بالذبح العظيم ، هو إسماعيل ، وأن

البشارة بإسحاق نصّ اللاّهُ عليها مستقلّة بعد ذلك . .

وقد أوضحنا في سورة (النحل) ، في الكلام على قوله تعالى : { مَنّ عَمِلَ صَالِحًا مَّن ذَكَرَ أَوْ أُذِنَ لَهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } ، أن المقرّر في الأصول : أن